الأصل اللّهجي في تحقيق الهمز وتسهيله
–بين قراءتي نافع وعاصم–

The origin of the rhetorical in the realization of hamz and facilitate
–between my reading nafie and assem-

أ. نعيمة طيبي*

تاريخ الاستلام:21- 07- 2019 تاريخ القبول:26-04-2020

الملخص:

ممّا لا ريب فيه أنّ القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين ليقوم بحفظ اللّغة العربية وصيانتها من كل الشوائب التي قد تكتنفها، كما أنّه أبقاها وخلدها على مدى القرون متينة الدعائم قوية الشواهد، وعلى هذا الأساس كان القرآن الكريم

- ولا يزال- منهلا يطلبه العلماء والباحثون على اختلاف تخصصاتهم سواء أتعلق الأمر بعلوم الشريعة الإسلامية أم بغيرها من العلوم الأخرى، حيث إنّ في القرآن الكريم ملامح وإشارات هي بمثابة الحجر الأساس عندهم، بالإضافة إلى أنّها تعدّ منطلقا لأبحاثهم واهتماماتهم العلمية والدينية والدنيوية.

وما دامت اللّغة العربية هي لغة القرآن الكريم التي جعل منها لغة حية ارتبطت بالدين الإسلامي وكانت وعاء لدستوره فقد اختارها الله لغة كتابه، وذلك لما اجتمع فيها من مؤهلات وخصائص فكانت قمينة بهذا الفضل، كما ازدادت مكانتها وقيمتها بالأبحاث العلمية المتخصصة ولاسيما في مجال القراءات القرآنية التي تعتبر وجوه لقراءة القرآن الكريم والتي كان قد سمح بها النبي صلى الله

* طيبي نعيمة ,المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر، البريد الالكتروني: naaimanaaima184@gmail.com (المؤلف المرسل)

عليه وسلم في تلاوته، حيث إن كل قراءة توافق لهجة من اللهجات العربية القديمة آنذاك، مع مراعاة الفروق الصوتية والتمييزية لكل قراءة على حدة، ولعّل السبب الأساس وراء تنوع القراءات القرآنية كان بغية التسهيل والتيسير على الأمة الإسلامية، وهذا ما انبثق عنه تنوع في القراءات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، القراءة، الرواية، اللّهجة، الهمز، التحقيق، التسهيل....

Abstract:

Which is not practiced in that the Holy Quran has been revealed in Arabic language is shown to save the Arabic language and maintenance of all the impurities that may surround them as it was kept and established over the centuries solid strong pillars of evidence, and on this basis was the Koran and is still neglected by scientists and researchers of different disciplines Whether it is the science of Islamic law or other sciences, as the Holy Quran features and signals are the cornerstone of them, in addition to it is a platform for scientific and religious research and interest.

As long as the Arabic language is the language of the Holy Quran, which made it a living language associated with the Islamic religion and was a vessel for its constitution, God chose the language of his book, because of the qualifications and characteristics that gathered the value of this credit, and increased its position and value with specialized scientific research, especially in the field of Quranic readings The reading of the Holy Quran, which was permitted by the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him), is a recitation of the Qur'an. Each reading corresponds to a dialect of the ancient Arabic dialects then, taking into account the vocal differences and distinctiveness of each reading. Facilitation and facilitation of the Arab and Islamic nation, and this is what emerged about the diversity of the Quranic readings.

Keywords: Quran, Reading, Novel, Dialect, Hamz, Investigation, Facilitation....

المقدّمة:

إنّ القرآن الكريم هو كتاب اللّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يخلق على كثرة الرّد ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء فقد أفنيت فيه الأعمار وأعملت فيه القرائح، فكان ولا يزال مصدرا تستقى منه العلوم بشتى أنواعها، وذلك لما فيه من الحكم والأحكام والمعاني والدلالات ولعّل من بين أهم العلوم التي تعلقت تعلقا مباشرا بكتاب اللّه هو علم القراءات القرآنية التي تعددت واختلفت باختلاف اللهجات العربية بين القبائل، فسمح لكل قبيلة أن تقرأ كتاب اللّه بلهجتها الخاصة وذلك من أجل التيسير والتسهيل على الأمة سواء أكان هذا التيسير من جهة التيسير ذكر تلاوته، أم الإيجاز في تصوير معانيه أم استنباط أحكامه، وبناء على هذا نطرح الإشكال التالي: ما هو الأصل اللهجي في تحقيق الهمز وتسهيله ؟ وما هو منهج نافع وعاصم في هذه الظاهرة؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية سنتطرق في ثنايا بحثنا إلى مفهوم الهمز وعلاقته باللهجات العربية وكيف كان حكمه في قراءة عاصم ونافع في عملية التجويد القرآني لكتاب اللّه سبحانه وتعالى.

1.مفهوم اللهجة بين القدامى والمحدثين:

ظلّت القراءات القرآنية منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ترتبط باللهجات العربية آنذاك حيث تولدت عن كل منطقة لهجة مميزة لها سماتها الصوتية الخاصة بها، حيث اختلفت لهجة أهل البدو عن لهجة أهل الحضر وذلك بحكم العزلة والاختلاط أيضا، واللّهجة كمصطلح لغوي هو حديث النشأة لأنّ العرب قديما لم يكونوا يستعملون ا لفظة لهجة ودليلنا في ذلك هي محتوى الكتب

القديمة التي تناولت كتب اللغة القديمة هذا المصطلح بمعان ومفردات أخرى فعند تصفحك لها تجدها تتضمن العبارات التي تأخذ معنى اللّهجة ويرددها العلماء في ثنايا الكتاب نذكر منها قولهم «وسمعناه ممن ترضى عربيته، من العرب يقولون، وزعم لي، بعض العرب، قالت العرب، وسألنا العرب، و هي لغة بعض العرب، وهي لغة.... الخ» [1] على هذا الأساس كان يعبِّر عربنا القدامى عند معنى اللهجة.

أمّا اللّهجة في الوقت الحاضر فأضحت تأخذ معنىً محدوداً حيث ترتبط بتلك الصفات الصوتية التمييزية لمنطقة معينة وهي وليدة اللّغة العامية عكس اللّهجات القديمة التي كانت وليدة اللغة الفصحى، وعند تصفحك للمعاجم العربية القديمة كمعجم العين مثلا تجد معنى اللّهجة هي « طرف اللسان، أو جرس الكلام، ويقال: فصيح اللّهجَة، واللّهَجَة: وهي لغته التي جُبلَ عليها فاعتادها و نشأ عليها»[2]. انطلاقا من هذا القول يتبين لنا بأن اللّهجة هي اللّغة التي يمارسها قوم ما، وهذا ما أكدته المعاجم العربية الحديثة التي ترى بأنها «اللغة أو طريقة أداء اللغة، أو النطق، أو جَرس الكلام ونغمته»[3]، وعليه فالمحدثون ربطوها بتلك الصفات أو الخصائص الصوتية التي تتميز بها بيئة ما في طريقة أداء اللغة أو النطق.

وإن أردنا تحديد مفهوم عام لهذا المصطلح في الاصطلاح فلا يسعنا القول سوى أنّ اللهجة هي « مجموعة من الصفات اللغوية، تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة»[4] ولا بدّ من الإشارة ها هنا إلى أنّ مفهوم اللهجة عند اللغويين القدامى، يختلف عمّا تعارف عليه المحدثون، فقد استعملوا كلمة (لغة) أو (لحن) للدلالة على اللهجة بمفهومها الحديث.

2.الأصل اللهجي في القراءات القرآنية:

ممّا لا شك فيه أنّ اللّغة العربية هي لغة عريقة تضرب بثقلها في التاريخ فهي تتسم بصفات صوتية تركيبيّة خاصة ميزتها عن باقي اللغات الأخرى حيث «انبثقت من اللّغة بمرور الزمن لهجات متعددة، وذلك لأن اللسان الإنساني ميال بتأثر من الطبع والمزاج الذي يتأثر بالظروف المحيطة والأحوال إلى إحداث تغيير في الألفاظ كفيل مع تعاقب الأجيال باستحداث لهجة تحدد في إطار تعبيري خاص بها، وهذا كائن على صعيد المجتمعات الصغيرة كقبيلة أو قرية أو حي في مدينة».[5] وعلى هذا الأساس أضحت اللّهجة هي البنت الشرعية للغة الأم كما هو الحال في اللغة العربية التي انبثقت عنها لهجات عربية متنوعة بتنوع الأجناس والبيئات« فالشيء الواحد قد يسمى عند قبيلة بلفظ وعند أخرى بلفظ آخر وسبب اختلاط العرب في حروبهم ومعاشهم وأشواقهم ...فقد تطغى بعض الألفاظ على بعض، واشتهرت الكلمات التي تعتبر أسهل أو أفضل من غيرها فاجتمع الإنسان الواحد أكثر من لفظة للشيء الواحد، ومن ذلك مثلا: السكين يدعوها بذلك أهل مكة وغيرهم وعند بعض الأزد يسميها المدُية، أمّا القمح لغة شامية والحنطة لغة كوفية، وقيل البُّر لغة حجازية، بالإضافة إلى الإناء الذي هو من الفخار يدعى عند أهل مكة بُرمة وعند أهل البصرة يسمى قدراً»[6]

وقد يعود السبب في اختلاف النطق بين العرب إلى طبيعة البيئة المعاشة حيث أنّ سكان البدو يختلفون عن الحضر« ولا شك أنّ تشابها في الكلمات قد يظل قائما يلاحظ لأول وهلة بين اللهجة واللغة التي انبثقت منها وتماثلا في كثير من التراكيب اللغوية، ولكن الاختلاف في نطق كثير من الكلمات والجمل وطرق التعبير عامة بينهما يكون كفيلا بإعطاء تلك اللهجة شخصية اعتبارية كلغة

مستقلة.»[7] إذن فمن الممكن أن تصبح لهجة من اللهجات كلغة رسمية فيما بعد حيث تصبح ذات صفات صوتية ونحوية خاصة بها كما أنّ تلك التغيرات الصوتية التي تحدث للكلمات تخلق منها صوراً مختلفة تؤدي المعنى نفسه، وهذه التغييرات قد تكون سبب:[8]

أ) إبدال حرف بحرف مثل: حثالة وحفالة، ثوم وفوم...نلاحظ هنا أن التغيير قد وقع على الحروف التي لها نفس المخرج.

ب) قلب لغوي بتقديم حرف على آخر، مثل صاعقة وصاقعة، طامس وطاسم.

ولأنّ الإنسان ابن مجتمعه، تنعكس عليه سلبيات ذلك المجتمع وإيجابياته فإن من الصواب دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية تتأثر بنوع المجتمع وبيئته ناهيك عن حالة الفرد النفسية والتعليمية...من فرح وغضب ودهشة وتعجب التي تدفع به إلى رفع نبرة صوته فيفخمه أو يرققه ليؤثر تصرفه في لفظ الكلمة. وهكذا فإنّ مجتمعا من الناس يمكن أن يُحدِث عددا من التغييرات على اللهجة ...وتكون سمات لغوية لهم.[9]

3.العلاقة بين اللهجة و اللغة:

انطلاقا مما قيل نخرج إلى رصد نوع العلاقة الرابطة بين اللّغة واللّهجة والتي هي علاقة الجزء بالكل «فاللغة الواحدة تشتمل على لهجات عدة، تحتفظ كل منها بخصائصها التي تميزها من غيرها إلا أنها ترتبط ببعضها في صفات لغوية تمثل اللغة الموَحدة التي تضم تلك اللهجات، ومن هنا يتضح لنا بأن العلاقة التي تربط اللهجة باللغة هي علاقة الخاص بالعام. وما من شك في أن كل لغة كانت في يوم من الأيام لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات، ثم حدثت عوامل

كثيرة، أدت إلى موْت اللغة الأم أو اندثارها، وانتشار كل بنت من بناتها في بقعة من الأرض، مكونة لغة لها خصائصها ومزاياها، التي تنفرد بها عن أخواتها فاللغة اللاتينية بعد اندثارها تُعدّ أمًّا للهجات الرومانية المختلفة، التي أصبحت لغات لها كيانها وخصائصها وهي: الإيطالية و الفرنسية و الإسبانية، وكل واحدة من هذه اللغات انقسمت إلى لهجات»[10] وقد يعود السبب الأساس في تنوع واختلاف اللهجات إلى العامل النفسي والاجتماعي وأثرهما في نفسية الفرد بحيث إنّ التقارب الحاصل في « مخارج الحروف العربية وميل اللسان إلى ما يعتقد أنّه تخفيف في اللفظ يعطي الحرف مخرجا غير مخرجه الأصلي فيستبدلُ به. إنّ مخارج القاف والكاف والجيم المصرية متقاربة، وقد يكون إبدال القاف بأحد المخرجين الآخرين أمرا محتملا»[11]

وبناء على الاختلاف الحاصل تولد هناك اختلاف في القراءات القرآنية والتي تفرعت حسب اللهجات العربية القديمة آنذاك حيث أصبح هناك اختلاف طفيف على المستوى النطقي أثناء التجويد القرآني تلاحظه أثناء سمعك لترتيل القرآن ولكن هذا الاختلاف لا يؤدي إلى اختلاف في الدلالة «فالمسلم أياً كانت لهجته وأيا كانت بيئته، وأيا كانت تلك الصفات الكلامية التي نشأ عليها وتعودها ولم يقدر إلا عليها، يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في نطقه بلهجته أو لغته. ويجب أن لا ننكر عليه، أو أن نهزأ من قراءته، فقد حاول وبذل الجهد فله أجر اجتهاده»[12] ، وعليه نخلص إلى القول بأنّ مهما اختلفت الألسنة العربية في قراءة القرآن فلا تأثير لها في دلالة المصحف الشريف ومعناه ومبتغاه اللغوي والديني وتبقى تلك الفروق بين القراءات عبارة عن تنوعات صوتية في اللسان لا أكثر، فالقرآن الكريم قد أنزل باللغة العربية والتي لها

ميزات صوتية خاصة بها هي الأخرى، ولعل أهم أساس تنبني عليه لغة « والمادة الأساسية في بناء الكلمات هي الأحرف المنطوقة، وهي وحدات صوتية تُجمع معاً في مجموعات صوتية هي الكلمات الملفوظة.»[13] والأساس في علم التجويد والقراءات القرآنية هو الحرف العربي وكيفية نطقه وتعود كيفية النطق إلى تلك اللهجات العربية المتنوعة وذلك لأنّ القراءة أو الرواية هي وليدة اللهجة «وما اشتملت عليه القراءات القرآنية، من صفات صوتية يمكن إرجاعها إلى بعض اللهجات العربية. وتنتمي هذه الصفات الصوتية إلى أشهر القبائل القرآنية؛ لأنها الصفات التي شاعت في معظم قبائل العرب، والتي تأصلت في لهجاتهم، فاتخذ القراء منها نماذجهم في فن القراءات»[14]

4. ظاهرة الهمز في القرآن الكريم

أ. مفهوم الهمز: تعدُّ الهمزة حرفا من حروف الهجاء في اللغة العربية كما أنّها حظيت باهتمام كبير من طرف علماء الصوت قديما فهي في نظرهم «صوت مجهور شديد فيه ثقل يخرج من أقصى الحلق» [15] بناء على ما قيل نخلص إلى القول بأنّ الهمزة هي حرف يتسم بصفتيْ الشدة والجهر وذلك لثقله كما أنّه يعد من أعمق الحروف مخرجا، أمّا المحدثين ففي دراستهم لهذا الصوت رأوا بأنّ «مخرج الهمزة المحققة فهو من المزمار نفسه، إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة»[16] وعليه وبعد أن رأى علماء التجويد والصوت أن هناك صعوبة في نطقها «ولما كانت الهمزة ثقيلة النطق بعيدة المخرج، لجأ العرب إلى تخفيفها وذلك عن طريق النقل أو البدل أو التسهيل».[17] انطلاقا من هذا ذهب علماؤنا محاولين التسهيل والتيسير على الأمة

في نطق الهمزة مع مراعاتهم إلى طبيعة البيئة التي ينتمي لها الفرد بحيث هناك من يستثقلها وهذا يعود لكون أنّها «حرف يخرج من أقصى الحلق، وهي أدخل الحروف في الحلق، فلما كانت كذلك استثقل أهل التخفيف إخراجها، من حيث كانت كتهوع فخففوها».[18]

5. تحقيق الهمز وتخفيفه بين اللهجات العربية القديمة:

قلنا فيما سبق أنّ الهمزة حرف عميق المخرج كما أنّه يتسم بصفة الشدة والجهر أيضا وهذا ما جعل بعض القبائل تستثقله أثناء عملية الكلام والنطق ففضلوا تخفيفه ليصبح هذا التخفيف مطبق أيضا أثناء التجويد القرآني لكلام اللّه سبحانه وتعالى، ويظهر هذا جليًّا في الروايات القرآنية المختلفة بحيث هناك من يخفّفه وهناك من يحققه وفي هذا الصدد يُرجع "عبد الصبور شاهين" سر شيوع ظاهرة الهمز عند أهل البادية والتخفيف عند أهل الحاضرة إلى أنّ

« القبائل البدوية تميل إلى السرعة في النطق، وتلَمُّس أيسرَ السبل إلى هذه السرعة فإنّ تحقيق الهمزة كان في لسانها الخاصة التي تخفف من عيب السرعة... أمّا القبائل الحضرية فعلى العكس من ذلك، كانت متأنية في نطقها متئدة في أدائها ...ولذا لم تكن بحاجة إلى التماس المزيد من مظاهر الأناة فألهمت همز كلماتها.»[19] يتبين مما قيل بأنّ العامل النفسي والاجتماعي يلعب دوراً كبيراً في عملية النطق بالحرف من عدمه وهذا ما حصل مع حرف الهمز حيث خرج علماء اللغة إلى الحكم بأنّ تحقيق الهمز خاصية بدوية، أمّا تخفيفها فخاصية حضرية، وقد كان تحقيق الهمز أوسع انتشاراً من تخفيفه.[20] في حين يعطي "عبيد عبد العزيز قليلة" تحليلا آخر بحيث يري بأنّ «التسهيل رقة والرقة

حضارة وإن النبر (الهمز) فصاحة والفصاحة بداوة..»[21] انطلاقا مما قيل نخرج إلى القول بأنّ تخفيف الهمز وتسهيله أنسب منذ القدم إلى أهل الحضر أمّا التحقيق فهو من فصاحة الكلام وأغلبية العرب الأقحاح كانوا من البدو.. وفي الموضوع نفسه «تكاد تجمع الروايات على أنّ التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم، في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مدّ ... قد روي أيضا أنّ بعضاً من تميم يقلبون الهمزة الساكنة إلى صوت لين من جنس حركة ما قبلها فيقولون في: رأى / بئر / لؤم.... رأس/ بير/ لوم...»[22] وفي الصدد نفسه يقول المحدثون في وصفهم لحرف الهمز وتبيينه لتحقيقها من عدمها «إنّ الهمزة ليست من الأصوات المجهورة أو المهموسة، إذ مخرجها المزمار نفسه، ولا عمل للوترين الصوتيين معها، وقد وصفناها قبلا بأنها من الأصوات الشديدة إن لم تكن أشدها، وأن أهل البادية يحققونها في لهجاتهم»[23]

6.تحقيق الهمز وتخفيفه بين رواية ورش عن نافع وحفص عن عاصم:

نظراً لأهمية هذا العرف اللّغوي الصوتي وإن أردنا الخوض والتعمق في البحث بين تحقيق الهمز وتسهيله من طرف القراء ومذاهبهم «يتبين لنا أنّ قراء الكوفة من مثل حمزة وعاصم والكسائي، كانوا يحققون الهمزة وهم بذلك يمثلون لهجة بيئتهم أصدق تمثيل، لتأثّرِ الكوفة بقبائل شرق الجزيرة كتميم وغيرها التي كانت تحقق الهمزة.»[24] إذن فمن الملاحظ أنّ قارئ الكوفة عاصم كان يمثل طبيعة نطق بيئته بتحقيقه لنطق الهمزة أثناء التجويد القرائي للمصحف الشريف، أمّا نافع قارئ المدينة «فلم يكن ليمثل البيئة التي تميل إلى التخفيف بل كان يحقق الهمزة، ولم يخففها إلا في حروف قليلة.»[25] بناء على هذا القول

يتبين لنا أنّ هناك اختلاف بين القراء في تسهيلهم وتحقيقهم لحرف الهمزة بحيث هناك من قرأ متأثرا ببيئته والبعض الآخر لم يلتزم بذلك وما قيل عن نافع وابن كثير، يقوم حجة على أنّ بعض القراء لا يلتزمون في قراءاتهم بالسمات اللّهجية التي شاعت في بيئتهم، بل إنهم كثيرا ما يتأثرون بقراءات شيوخهم.[26] وعلى هذا الأساس تفرقت وتنوّعت الروايات والقراءات القرآنية بتنوُّع اللّهجات العربية وألسنتها ولعل هذا ما نلحظه أيضا في كتب القراءات التي «تكاد تُجمع على أن أبا جعفر ونافعا من رواية ورش، قد تخلصا من تحقيق الهمزة، ولا غرابة في ذلك فهما أشهر قراء المدينة، ومن البيئة الحجازية التي اشتهر عنها عدم الهمز»[27] وفي الأخير نستطيع الترجيح بأنّ « تلك الروايات التي نسبت تحقيق الهمزة لتميم وغيرهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، وأن ننسب التخلص من الهمز لمعظم البيئة الحجازية»[28]

حسب طريقة المقرئين في تقسيم الهمزة، وذكر اختلاف القراء فيها نقول:[29]

أ- الهمزة لا تخلو من أن تكون متحركة أو ساكنة، والمتحركة لا تخلو من أن تُلاقي همزةً أخرى أو لا تلاقي.

_ فإن التقت الهمزتان فقد ذكر القراء أنّهما (يجيئان في كلمة أو كلمتان) وتحقيقهم أنّ ذلك كله من كلمتين إلاّ في قوله تعالى (أئمة) .فكل ما كان من كلمة فإنّه ينقسم قسمين، أن تكون الهمزة الأولى داخلة على ألف اللام، أو تكون داخلة على غيرها.

_ فأمّا الداخلة على ألف اللام فجملة ما في القرآن من ذلك ستة مواضع، وهي ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾[30] ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾[31] ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[32] ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾[33]

-فأجمع القراء على تحقيق همزة الاستفهام وتخفيف الثانية، وفي يونس موضع سابع على قراءة أبي عمرو، وهو(آساحر)[34]، وصورة التخفيف قد ذكر أصحاب سيبويه أنّه بالبدل ألفا.

7. أحكام تخفيف الهمز وتسهيله عند القراء:

أولا: تخفيف الهمزة:

من المعروف بأنّ الهمزة تأتي محققة في القراءة التي عليها العامة، فإنّ هناك قراءات وروايات قرآنية قد جعلتها مخففة بأنواع من التّخفيف والتسهيل أثناء قراءة القرآن الكريم وهذا ما سنوضحه في ما يلي:

أ/التخفيف بالتسهيل (الهمزة بين بين): درس سيبويه الهمز دراسة معمقة ودقيقة مبينا أحكام تخفيفه وتسهيله أثناء القراءة حيث قال «اعلم أنّ كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، وتكون بزِنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمُّه وتخفي، لأنك تقربها من هذه الألف...، وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة كما كانت المفتوحة بين الهمزة والألف الساكنة...وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة.»[35]

التسهيل كالألف: ومن بين أهم المواضع التي تم فيها تسهيل الهمزة كالألف نذكر:

أ. "أأسلمتم" في قوله تعالى ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾[36] فالقراءة المشهورة "أأسلمتم" بتحقيق الهمزتين، وممن قرأ بتسهيل الثانية: أبو عمرو، وأبو جعفر وابن كثير وورش.[37]

ب. ها أنتم في قوله سبحانه وتعالى ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾[38] فالقراءة التي عليها العامة ﴿هَـٰٓأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزة، وقرأ أبو عمرو ونافع وورش وقالون بتسهيل الهمزة.[39]

وعليه فورش قد ذهب إلى التسهيل والتخفيف في نطق الهمزة في حين التزم حفص بتحقيقها أثناء القراءة ويضيف "المبرّد" في هذا الصدد قائلا «إذا كانت الهمزة مفتوحة وقبلها فتحة...فإنّ أردت التخفيف نحوت بها نحو الألف لأنّها مفتوحة، والفتحة من مخرج الألف»[40]

ب/التخفيف بالإبدال:

إبدال الهمزة ألفاً: إن تخفيف الهمز يكون بأنواع متعددة فهناك من يبدلها أثناء قرائته وهذا ما يؤكده "الصفاقسي" حين قال بأنّه قد «روي عن ورش إبدالها (الهمزة الثانية) ألفا فتلتقي مع سكون القاف فمدّه لازم»[41]

أ. ها أنتم في قوله سبحانه: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ﴾ [42] القراء على (ها أنتم) بتحقيق الهمزة، وقرأ بإبدالها ألفاً محضة هكذا: (هَانتُمْ) ورش والأزرق.

ب. أأقررتم في قوله عز وجل﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ﴾ [43] القراءة التي عليها العامة (أأقررتم) بتحقيق الهمزتين، وجاءت القراءة عن ورش والأزرق. أيضا (ءَاقْرَرْتُمْ) بإبدال الهمزة الثانية ألفا، مع مدّ مشبع.

وفي قوله تعالى **"أرأيتكم"** قرئت «الهمزة متحركة وسكن ما قبلها، تنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وتحذف الهمزة سواء كان هذا في كلمة واحدة أم كلمتين مثل: "والأخرى" قرئت "ولخرى" وقد اشتهرت هذه القراءة عن ورش القارئ المصري الذي تعلم في المدينة».[44]

ويضيف سيبويه في وصف حرف الهمز مبررا سبب استثقاله عند بعض القبائل قائلا «إنّما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم فكرهوا أن ينقلوا من الأخف إلى الأثقل وكرهوا في (عُصُر) الكسرة بعد الضمة كما يكرهون الواو مع الياء في عدة مواضع ومعنى هذا أنّه بناء ليس من كلامهم إلا في هذا الموضع من الفعل فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال»[45] ويمكن تتبع ذلك فيما يلي: [46]

- قال الله تعالى في كتابه الشريف ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[47] وقرئ: (غُلُفٌ) فمن قرأ (غُلُفٌ) فهو جمع غلاف، أي قلوبنا أوعية للعلم، كما أنّ الغلاف وعاء لما يوعى فيه، قال: وإذا اُسُكِّنَتِ اللام كان جمع أغلب، وهو الذي لا يعي شيئا، وسيفٌ أغلفٌ. إذا كان في غلافِ وجمعه غُلْفٌ.

- ومثال ذلك أيضا قوله عزّ وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾[48] قرأه ابن عامر والكسائي وحفص وقنبل بضم الطاء حملا على أصل الأسماء لأنّ الأسماء يلزمها في الجمع الضم نحو "غرفة وغرفات "فضم خطوات" على الأصل وهي لغة أهل الحجاز وقرأه الباقون بإسكان الطاء تخفيفا، لاجتماع ضمتين وواو، لأنه جمع ولأنه مؤنث، فاجتمع فيه ثقل الجمع، وثقل التأنيث، وثقل الضمتين والواو، فحسن فيه التخفيف وقوى، وأصله الضم، ولا يحسن أن يقال تركت الطاء على سكونها في الواحد ، لأنّ الجمع يلزمه الضم. فإنّما هي ضمة أسكنت تخفيفا لما ذكرنا، لأن الضم في هذا الباب للفرق بين الاسم والصفة، فالاسم يلزمه الضم لخفته، والصفة تسكن لثقلها ، وذلك للفرق بينهما، والإسكان أولى لخفته، ولأن عليه أكثر القراء.

- ومثال ذلك أيضا ما قرأه في قوله تعالى ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾[49] (دأبا) قرأه حفص «بفتح الهمزة وأسكن الباقون، وهما لغتان مثل النَّهْر، النَّهرَ، والسَّمْع، السَّمعَ، والإسكان أولى به للإجماع عليه لأنه أحق؛ ومثال ذلك أيضا: قراءته في قوله تعالى ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [50] قرأ عاصم وحمزة بإسكان القاف وضمها الباقون،. والأصل الضم، والإسكان وتخفيف كالعُنْقْ والعُنُقْ»[51] بناء على هذا الطرح يتضح بأنّ الاختلاف في القراءات لم يكن على مستوى حرف الهمز فقط بل تعداه إلى الحروف الأخرى التي يستثقلها اللسان هي الأخرى ولعّل من بين أبرزها حرف القاف والطاء الشديدتين وغيرهما ...

خاتمة:

في نهاية البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها:

1- تنوعت القراءات باختلاف القراء ومشاربهم، ومن أهم الأسباب التي دعت إلى الاختلاف في القراءات هي تنوع اللهجات حيث كانت العرب تعيش في مناطق متفرقة ومختلفة من العالم وهذا ما ولد عنه اختلاف في القراءات القرآنية للكتاب المقدس؛

2- تعدٌّ ظاهرة الهمز من أهم الظواهر الصوتية التي اختلفت فيها كل من قراءة نافع وعاصم وذلك بين التسهيل والتحقيق؛

3- ارتبط مصطلح اللهجة بالقراءة منذ الأزل لأنّ هذه الأخيرة كانت وليدة اللهجة والإطار الجغرافي والاجتماعي والنفسي للإنسان العربي آنذاك؛

4- تميزّ عرب البدو الأقحاح بتحقيق الهمز لأنهم يحافظون على قواعد اللغة العربية صوتا وصورة، في حين مال سكان الحضر إلى تخفيف وتسهيل الهمز وذلك لأنهم قد تأثروا بمن حولهم وببيئتهم المعاشة أيضا؛

5- اختلفت رواية ورش عن حفص تماما من حيث تحقيق الهمز وتسهيله إذ وجدنا ورشاً يسهل ويخفف نطق الهمزة أثناء تجويد القرآن الكريم في حين عارضه حفص في ذلك والتزم بأصوله البدوية "الكوفة" وحافظ في قراءته للقرآن الكريم على تحقيق الهمز؛

الهوامش:

(1) ابن جني، الدراسات اللهجية والصوتية، دار الرشيد، بغداد، (1980)، ص: 72.

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامراني، ج 3، دار الرشيد، بغداد، (1980م)، ص: 391

(3) محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه ، دار بن حزيمة، ط1، الرياض، (2005- 1426م)، ص: 91.

(4) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، د.ط، القاهرة، (1965م)، ص: 16

(5) عبد الرحمان أحمد البوريني، اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن، عمان، ط1، (1998م، 1419ه)،ص:67.

(6) ينظر: سالم سليمان الخمّاش، فقه اللغة، موقع إلكتروني (لسان العرب)، http:www.khamash.ojp.net.، ص: 130.

(7) عبد الرحمان أحمد البوريني، اللغة العربية أصل اللغات كلها، ص:67.

(8) سالم سليمان الخمّاش، فقه اللغة، موقع إلكتروني (لسان العرب)،ص: 131.

(9) ينظر: عبد الرحمان أحمد البوريني، اللغة العربية أصل اللغات كلها، ص: 68.

(10) ا رياض عبود الغوار الديلمي، للسانيات والصوتيات جهود في اللغة و التحقيق، ط1، دار غيداء، عمان، (1435- 2014)، ص: 122.121

(11) عبد الرحمان أحمد البوريني، اللغة العربية أصل اللغات كلها، ص: 71.

(12) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مطبعة أبناء وهبة حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (2003م)، ص: 49.

عبد الرحمان أحمد البوريني، . اللغة العربية أصل اللغات كلها، ص: 53.

(14) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص: 51.

(15) أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، سر صناعة الإعراب، ط2، ج1، دار القلم، دمشق، (1993م، 1413ه)، ص: 69.

(16) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، (1975م)، ص:89.90.

(17) ينظر: ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة: محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، (1980م)، ج1، ص:374.

(18) أبي جعفر بن خلف الأنصاري، الإقناع في القراءات السبع، جامعة أم القرى، دمشق، (1402هـ)، ط1، ج1، ص: 358.

(19) عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، مصر، د.ط، (د.ت)، ص: 30.

(20) ينظر: عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص: 99.

(21) قليقلة عبيد عبد العزيز، لغويات، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، (د.ت)، ص: 168.

(22) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص:67.

(23) المرجع نفسه، ص:97.

(24) ينظر: الجندي أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية، ليبيا، تونس، د.ط، (1980م)، ج1، ص:334.

(25) عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، (1996م)، ص:99.

(26) ينظر: الجندي أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، ص: 286.

(27) ف إبراهيم أنيس، ي اللهجات العربية، ص:67.

(28) المرجع نفسه، ص: 68.

(29) ينظر: أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، الإقناع في القراءات السبع، ص: 358.

(30) سورة الأنعام 144،143.

(31) سورة يونس 51.

(32) سورة يونس 59.

(33) سورة النمل 59.

(34) سورة النمل 81.

(35) سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، لبنان، ط1، (د.ت)، ج3، ص:541.542. [35]

(36) سورة آل عمران 20. [36]

(37) ينظر: ابن الجزري، النشر، تصحيح ومراجعة: محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، (1980م)،ج3، ص: 363.

(38) سورة آل عمران 66.

(39) أبو بكر بن موسى بن العباس بن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة، د.ت، ص:207.

(40) المبرّد أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تح: محمد بن عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، د.ط، بيروت، (د.ت)، ج1، ص:155.

(41) الصفاقسي علي النوري، غيث النفع في القراءات السبع، ط3، مطبعة الحلبي، مصر، (1373هـ، 1954م)، ص: 179.

(42) سورة آل عمران 65.

(43) سورة آل عمران81.

(44) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص:71.

(45) الكتاب سيبويه، ج4، ص:113.

(46) إبراهيم عبد الله سالم، القراءات القرآنية في معجم تهذيب اللغة للأزهري في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراه، كلية الآداب قسم اللغة العربية، جامعة طانطا، (1999م، 1419هـ)، ص: 44- 48.

(47) البقرة 87.

(48) البقرة 167.

(49) يوسف 46.

(50) الكهف 43.

(51) الأزهري، تهذيب اللغة، الدار العصرية للتأليف، د.ط، (1964م)، ج8، ص:254.